ما الكافة الزائدة:

إذا اتّصلت "ما" الزّائدة بـ "إنّ" أو إحدى أخواتِها ـ ما عدا ليت ـ أحدثت أمرين:

الأوّل: كفّها عن العمل، ولذلك تسمّى "ما" الكافّة، أي: المانعة للحرف الناسخ من العمل، أي إنّ هذه الأدوات، التي تعمل النّصب في المبتدأ، فيكون اسمًا لها، وتعمل الرّفع في الخبر، فيكون خبرًا لها، تكون غير عاملة حين دخول "ما" عليها، فيعود الاسم بعدها مرفوعًا على الابتداء، والخبر مرفوعًا على أنّه خبر المبتدأ، فإذا قلنا: "إنّما زيدٌ مجتهدٌ"، يكونُ "زيد" مبتدأً و"مجتهد" خبرَه، ومثلُ ذلك أيضًا: "إنّما الأعمالُ بالنّياتِ" و"لعلّما زيدٌ ناجحٌ". ومنه قوله تعالى: ((إِنّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)) [النّساء:171]، وقولُه تعالى: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)) [المائدة:92] .

الثّاني: إزالة اختصاصها بالأسماء، وتهيئتها للدّخول على الجملة الفعلية، ولذلك تسمّى "ما" المهيّئة. مثال ذلك: "إنّما يُعاقَبُ المسيءُ"، وقولُه تعالى: ((كَأَنّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)) [الأنفال:6] وقول الشّاعر:

وَلكِنّما أسْعَى إلَى مَجْدٍ مُؤَثّلٍ وَقد يُدرُكَ المَجْدَ المُؤَثّلَ أمْثَالِي.

وقول الآخر:

أعِدْ نَظَرًا يَا عَبدَ قَيسٍ لَعَلّما أضَاءتْ لك النّارُ الحِمَارَ المُقيَّدا.

علّة عدم عمل "إنّ" وأخواتها عند دخول "ما" عليها:

علّة عدم عمل هذه الأدوات في المبتدأ والخبر عند دخول "ما" عليها هو أنّ "ما" لمّا هيّأت هذه الأدوات للدّخول على الجملة الفعليّة أزالت اختصاصها بالأسماء، ومعلومٌ أنّ الحرف يعملُ إذا كان مختصًّا إمّا بالاسم كـ "إنّ" وأخواتها التي تختصّ بالدّخول على الاسم، وإمّا بالفعل كـ "لم ولن" اللتين تختصّان بالدّخول على الفعل المضارع، ولا يعمل إذا لم يكن مختصًّا، كـ "همزة" الاستفهام التي تدخل على الأسماء والأفعال. فإذا دخلت "ما" الكافة على "إنّ" أو إحدى أخواتها هيّأتها للدخول على الأفعال، فضلًا على دخولها على الأسماء، وبذلك تصبح هذه الأدوات غير مختصّة، شأنها شأن "همزة" الاستفهام.

ليت: تُستثنى "ليت" من أخوات "إنّ" من أنّه يجوز فيها الإعمال والإهمال، فيجوزُ أن نقول: "ليتما زيدٌ قائمٌ" و"ليتما زيدًا قائمٌ".

مذهب بعض النّحويّين:

يذهب بعضُ النّحويّين إلى جواز عمل هذه الأدوات قليلًا مع وجود "ما" قال الزّجّاج: ((من العرب من يقول: "إنّما زيدًا قائمٌ" و"لعلّما بكرًا جالسٌ" وكذا أخواتها ينصبُ بها ويُلغي "ما". وتبعه على ذلك تلميذه الزّجّاجيّ وابن السّرّاج، وحكاه الأخفش والكسائيّ، وعلى ذلك ظاهر كلام ابن مالك، فإنّه قال: "وقد يبقى العمل".

ملاحظة: يجب التّفريق بين "ما" الزّائدة و"ما" الموصولة، فإنّ الموصولة لا تكفُّها عن العمل، سواءٌ كانتْ "ما" موصولًا اسميًّا أو موصولًا حرفيًّا، فالأوّل: نحو: "إنّ ما في الغرفةِ طفلٌ" أي: "إنّ الذي في الغرفةِ طفلٌ"، ومنه قوله تعالى: ((إِنّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ)) [طه:29] فـ"ما" اسمٌ موصولٌ و"صنعوا" جملة صلة الموصول، والعائد محذوف و"كيد" خبر "إنّ"

والثّاني: وهو الموصول الحرفيّ، وهو حرفٌ مصدريّ يؤوّل مع ما بعده بمصدرٍ، نحو: "إنّ ما فعلتَ حَسَنٌ" أي: "إنّ فعلَك حسنٌ" فـ "ما" وما دخلت عليه في تأويل مصدر، هو اسم "إنّ".